الدفتر الأزرق

– لا تقلق، الرجل لديه مشكلة وسنحلها.

قالها حامد لـ مجدي في وسط الزحام، وهو يضع كوب شاي على الأوراق أمامه. كان الشاي باردًا قليلاً وأخف مما قد يعدل مزاجه، إلا أنه كان نفحة صباحية لا بأس بها في يوم مضطرب كهذا.

كانت طاقة مجدي منسحبة بالكامل، لا يعرف كيف يواجه هذه المشكلة. يسحب الملف من اليد الممدودة من الفتحة الصغيرة بالشباك أمامه، ثم يضع الأختام والدمغات بآلية محفوظة. كان كوب الشاي بمثابة وقت مستقطع قصير، فرشف رشفة قصيرة، ثم تجرع الباقي مرة واحدة، متجاهلاً اليد الممدودة التالية وصاحبها المتعرق. حينها تذكر يد الشرطي وهو يسجل رقم سيارته هذا الصباح في دفتره. استلم الملف التالي أخيرًا وقد انتقل ذهنه للتفكير في حامد.

تشاركا هو وحامد هذا المكتب بالهيئة الحكومية معًا لسنوات، بجانبهما كرسي ثالث، لكن صاحبه متغيِّب دائمًا، فلم يعودا يشركان صاحبه في أي

شيء. مكتبهما في حجرة مستطيلة، يجلسان وراء شبابيك يستقبلان جمهورًا يحتاج إلى خَتم أوراق بأختام النظام الرسمية. المكتب الرخامي السميك بطول الشبابيك هو مكتبهما، تتراص الكراسي بمحاذاته والأوراق والدمغات والأختام والأموال على سطحه. الرخام أمام مجدي عليه بقع سوداء، والنُقر الصغيرة المنتشرة فوقه تقعَّرت، حتى أن مجدي يغرس قلمه الجاف في إحداها أحيانًا. بينما اللمبات النيون الطويلة تتراقص فوق رأسيهما.

مضى الوقت ثقيلاً، ولم يعد مجدي يرى، من فوق كرسيه، النهار الداخل من بوابة الحجرة المربعة.

تزايدت أعداد الأيدي الممدودة بالأوراق، المنتظرة لحظة كبس الحبر الأزرق فوقها. والمروحة بجواره تدور بيأس بلا أي طراوة. بدأ ينسى الحظ السيئ الذي اجتاحه هذا الصباح، الماء المنقطع وخرطوم الماء في الحديقة الذي غسل به وجهه، والشرطي الذي دوَّن رقم سيارته في دفتر أزرق لأنه ركنها في المكان الخطأ، والمثانة التي أفرغها في حمام الهيئة. ذهبت عنه مرارة الاضطراب قليلاً وراء مرارة كوب الشاي الثاني الذي يطوي الوقت برشفه.

أشار حامد له بأن الوقت قد حان، فأغلقا الشباك وتركا الجماهير الغاضبة بلا اكتراث، وخرجا مُسرعَين نحو حمام الهيئة. دس حامد لفافة صغيرة بيد مجدى وقال بسرعة إن عامل البوفيه أخبره عن مشكلة تواجه الشرطي. كانت الخطة،

أن يذهب مجدي إلى المرحاض ويغلق الباب، بعدها سيدخل الشرطي الذي لا يحب أن يشاركه أحد الحمام، لذلك يتجنب الجميع الذهاب بينما هو هناك. عامل البوفيه يعمل حارسًا له، رشاه حامد ليلخص له الموقف، وأخبره بأن الشرطي في طريقه لباب الهيئة الآن.

سيدخل حامد بعد الشرطي متظاهرًا أنه لا يعرف أنه بالداخل. بعدها بدقيقة سيخرج مجدي من المرحاض ومعه هذا الدهان ويعرضه عليهما ليساعدهما على التبول. أكد حامد عليه "دقيقة واحدة وتخرج، لأنه سيطردني.. مفهوم؟"

كان اضطراب مجدي يزيد كلما اقتربا من باب الحمام. شعر بأنها ليست خطة تافهة هكذا كما يشرحها حامد، لم يكن الأمر بهذه البساطة قط. إنه شرطي ويمكنه فعل أي شيء ليؤذيهما. لكنه في نفس الوقت حاول تهدئة ضربات قلبه وتذكير نفسه بأنه ليس إلا رجلا مريضا لا يتبول وسيتعلق في أي شيء قد يلوِّح له بالأمل في العلاج. فكر أن يومه على وشك البدء حالاً، وأن المشكلة انتهت وسوف يعود ليتجرع كوب شاي آخر ويتسلم الملفات من الأيادي الممدودة دون إزعاج.

دخل مجدي مسرعًا للمرحاض الداخلي وأغلق الباب وراءه. بينما وقف حامد ينتظر دخول الشرطي من بعيد. ثم تبعه بعدها بدقائق قليلة. كان الحمام خاليًا إلا من الشرطي. قصير كقزم محني الظهر قليلاً، هيئته

مربعة لا تليق برأسه الصغير، وقف أمام مبولة في وضع استعداد لإفراغ مثانته، ودفتره الأزرق أسفل ذراعه اليمنى. لف برأسه قليلاً ليرى شريكه الطارئ، فلمح حامد عضلات رقبته تشتد، وبدت الأخاديد على جانب وجهه أعمق مما تصورها. كان ضوء الشمس المتسلل من النافذة العالية يتكسر فوق ملامحه ولا ينفذ لتجاعيده، فظهرت أغمق لونًا. لم يكن يرى الشرطي كثيرًا في رحلة ذهابه ومجيئه للعمل، لذلك لم يركز قط في هيئته. مرت نظرته في ثوانٍ قليلة لكنها كانت مجتزأة من كوابيس حامد.

رجل في الظلام في زقاق ضيق، لا يظهر منه سوى وجه، ملامحه ساكنة كالموت، وتجاعيده سوداء متحركة كديدان صغيرة تلعقه. تسمَّر مكانه حتى بعد أن أعاد الشرطي رقبته لوضعها، كان موقفًا ثقيلاً وود لو لفَّ وعاد خارجًا من الباب دون كلام، لكنه تذكر مجدي المنتظِر خلف باب الحمّام، فتوجه للمبولة ووقف بجانب الشرطي العجوز. لم يخرج عضوه بالكامل، فقط رأسه، ووقف متظاهرًا بالانتظار مثله. طال وقوفهما دون إطلاق ما يَودَّان إطلاقه. وحين همَّ الشرطي بإنهاء وقفته، قال حامد بابتسامة حذرة مرتعشة "وضع سيئ، ها؟"

لم يجِب الشرطي، إنما نظر إليه بجانب عينيه ثم عدل وضعه ليُخبئ عضوه المنكمش. كان حامد يشعر بالنظرة الجانبية منذ وقوفه بجانبه، كانت عيناه زجاجيتين، خاليتين من أي تعبيرات، خشى مبادلته النظر كيلا يتحوَّل إلى

رماد ويتطاير. لم يظهر مجدي ولم يسمع له حامد أي صوت وراء الباب المغلق، وغرق في عرقه ولم يعد يعرف ماذا يفعل بعضو بين يدٍ.

أما مجدي فجمد وقفته خلف الباب المغلق وتعرقت يده بغزارة. كان مرحاضًا صغيرًا، منفذه عالٍ يعلوه طبقات من الأتربة، به لمبة صفراء يتلاعب ضوؤها بخياله على الحائط، تقترب قاعدة المرحاض من بابه لدرجة لا تسمح لـ مجدي أن يقف بمواجهة عنكبوت متحفز فوق الباب. كان عنكبوتًا ضخمًا، أكبر من أي حشرة رآها مجدي يومًا، برأس صغير، وكذلك ما بدا له أنها يداه، أما أقدامه الخلفية فطويلة بشكل لافت. ورغم تشوهه الواضح لكنه استطاع غزل منزل رحب به صيد يكفيه لأيام، في الزاوية وراء الباب.

مرت الدقائق ثقيلة وصار الأمر أكثر إرباكًا لـ حامد الواقف بجانب الشرطي، كان الخوف يعتصره تمامًا حتى أنه تقطَّر عرقًا. فكر أن يعتذر ويمضي من أمام المبولة. كل ما استطاع معرفته عن الشرطي يدل على أنه رجل سريع الغضب، يمارس الإيذاء أسرع وأسهل من تبوله. وحين لم يظهر مجدي، بدأ يشعر بأنه في خطر، وأنه لن يأمن جانب الشرطي بعد الآن، كل أمله يتلخص في ظهور الدهان وخروج مجدي من وراء الباب.

بنظرة خاطفة رأى أن الألم قد اعتلى وجه الشرطي تمامًا. لم يبدُ مكترثًا لوجوده، ممسكًا بعضوه من أعلى كأنه ينضح ماءً على حديقة، ويحاول

إعطاء الأوامر لجسده ليستجيب له ويخلصه من الانتظار الموجع. قرر حامد الانسحاب بهدوء تاركًا إياه مع تأمله الطويل. طرأت له فكرة أن يطرق الباب على مجدي، لكنه تراجع كيلا تنكشف الخطة. وفي ذهنه يؤكد لنفسه أن الشرطي لم ينظر إليه مليًا ولم يوجه نظره له بشكل كامل، بالطبع لن يمكنه التعرف إليه إذا مر أمامه غدًا.

عاد حامد لمكتبه وطال تفكيره في المسألة وهو يستقبل الأوراق من الأيدي الممدودة، بينما ينظر لكرسي مجدي الخالي في قلق. لكنه لم يجرؤ على العودة للحمام مرة أخرى.

ظل مجدي بصحبة العنكبوت وراء الباب، يشغل ذهنه بخيالات استئناسه وتدريبه على صيد الدفتر الأزرق ضمن شباكه، ثم التهامه وتخليصه من دين المخالفة الذي لن يقدر عليه. كان العنكبوت يبادله النظر، يرى بأعينه الكثيرة انفعالات مختلفة فوق وجه مجدي، ويحاول قراءة رجفته واصفرار وجهه، كما كان في إمكانه عدّ ضربات قلبه السريعة. كانت رائحة الأدرينالين تملأ المكان وتعبق أنف العنكبوت.

تراجع مجدي للخلف قليلاً ببطء شديد. في تلك اللحظة كره طوله الفارع، ودّ لو كان قصيرًا، قصيرًا للغاية، أقصر من قزم، في مساواة عِقلة الإصبع ليستطيع خلع حذائه سريعًا ودهس العنكبوت بغتة. أخذ يحسب المسافة بينه وبين الباب إذا ما رفع إحدى قدميه لخلع الحذاء، لكنه فشل في تذكر الأرقام وشعر بأن قدمه لا تستجيب له. من أين أتى ذلك الوحش

الصغير؟ لقد كان هنا صباحًا ولم ير شـيئًا منه، لكنه تذكر أنه لا يسـتخدم هنا سوى المبولة ويتقزز من الرائحة النتنة بداخل تلك المراحيض المغلقة. كانت الرائحة قوية حتى كادت تلتصق به. لو فقط يسـتطيع اسـتخدامها لتكون حائلاً بينه وبين العنكبوت.

حـرك العنكبوت قدميه قليلاً، فكاد مجدي أن يصرخ، لكن فمه انفتح مرتعبًا ولم يطلق أي صوت. اسـتمر العنكبـوت في حركته المتمهلة وكأنه ينتظر فريسته لتقع، بينما انكمش مجدي داخل ملابسه وسرت برودة قاسية فـوق عظام ظهره. ظل يتقلص كلـما زاد العنكبوت في تحفزه، حتى صغر تمامًا ووصل لأرضيـة الحمام، فقفز العنكبوت فوقـه ولفه داخل خيوطه الناعمة المطاطة، وصعد به ليضيفه لغدائه وراء الباب.

حين دخل حامد الحمّام عقب انتهاء اليوم باحثًا عن مجدي، لم يجد سوى لفافة الدهان ملقاة على الأرض في إهمال.